حلقات إسلامية
١٦

المنهج التربوي عند الإمام الكاظم "ع"

سماحة الدكتور السيد محمد بحر العلوم

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

٧٨
٣
مكتبة معهد أهل البيت للدراسات العليا
لندن
أسسها السيد محمد بحر العلوم

هدية معهد البحوث
للدراسات العليا

المنهج التربوي
عند
الإمام الكاظم "ع"

جملقابات إسلامية
١٦

المنهج التربوي عند الإمام الكاظم "ع"

سماحة الدكتور السيد محمد بحر العلوم

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ-١٩٩١م

بحث أعد للمؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)
في دورته الثالثة عام ١٤٠٩ هج
المخصصة
بذكر الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلائق أجمعين ، محمد رسول الله الصادق الأمين ، وآله الأئمّة الغر الميامين ، وصحبه المنتجبين :

وبعد :

الحديث عن الإمام موسى بن جعفر (ع) ، السابع من أئمة الهدى من آل بيت المصطفى ، طويل وواسع ، رغم أن المصادر التاريخية ، وكتب السيرة المختصة لم تسهب في هذا المضمار ، نظراً للظروف السياسية التي أحاطت بشخصية الإمام ، فضيقت من دائرة البحث عنه ، ولكننا إذا ما حاولنا أن نتوجه إلى جمع ما دوِّن في ثنايا الكتب والمراجع يمكن أن يكون سِفْراً رائعاً ، ومصدراً ضخماً عن حياة هذا الإمام (ع) ، وخاصة في الميدان الفكري والسياسي ، فقد

أثرى المدرسة الصادقية[1] وأستمر برفدها من بعد أبيه الإمام (ع) لتشمل أرجاء الدولة الإسلامية ، خاصة وأن السياسة للدولة العباسية الحاكمة حتى شطر من عهد الإمام الكاظم قد فسحت بعض المجال لهذه المدرسة بممارسة نشاطها الفكري ـ كما سيمر علينا ـ .

ويؤسفني أن الظرف الذي دعاني لكتابة هذا البحث قصير جداً بحيث لا يسع حتى لتتبع المصادر التي يقتضيها الحديث ، لذا سوف أقتصر على بعض الجوانب التي يمكن أن تكون مدخلاً للحديث عن شخصية الإمام الكاظم (ع) بكل أبعادها ، وتأثيرها في الإطار العام لمدرسة أئمة أهل البيت ، وأرجو أن أكون موفقاً في هذه المهمة الشاقة ، والله سبحانه وتعالى المسدد للصواب .

---

(١) المقصود مدرسة الإمام الصادق (ع) .

المدخل

ملامح عن شخصية الإمام الكاظم (ع)

الإمام موسى بن جعفر (ع) المعروف بـ «الكاظم»[1] هو سابع الأئمة في سلسلة أئمة الهدى من أهل بيت النبي (ص) ، وقد ولد بـ «الأبواء» عام ١٢٨ هـ[2] ، وهو ثالث أو رابع أولاد الإمام الصادق

---

(١) لقب بذلك لأنه كان يكظم غيظه ، كما عرف بـ «العبد الصالح» لكثرة عبادته ، وبـ «باب الحوائج» لأنه اشتهر بين الناس ، ما قصده مكروب إلا فرج الله عنه الآمه وأحزانه ، وما أستجار أحد بضريحه الشريف إلا قضيت حاجته . راجع : الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ١٣٧٧ ، والمفيد ـ الإرشاد: ٢٦٠ طبعة دار الكتب الإسلامية ـ طهران ١٣٦٦ ، والسيد محسن الأمين ـ أعيان الشيعة : ٢/٥ الطبعة الثانية دار التعارف بيروت ١٤٠٣ هـ ، والشيخ باقر القرشي ـ حياة الإمام موسى بن جعفر ١/٤٩ الطبعة الثالثة مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٣ هـ .

(٢) قرية بين مكة والمدينة . المفيد ـ المصدر السابق : ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(ع) من أُم قال عنها زوجها «حميدة في الدنيا ، محمودة في الآخرة»[1] .

تربى في مدرسة والده الإمام أبي عبد الله (ع) حتى وفاته عام ١٤٨ هـ ، أي قضى ما يقارب العشرين عاماً في تلك المدرسة العلمية التي لعبت دوراً بارزاً في عهد الإمامين : الباقر والصادق (ع) في تركيز فكر أئمة أهل البيت (ع) ، والثقافة الإسلامية .

كما عاصر أربعة من خلفاء الدولة العباسية ، فمع المنصور الدوانيقي ـ بعد أبيه الإمام الصادق (ع) ـ نحواً من عشر سنين ، ثم مع المهدي عشر سنين ، ومع الهادي سنة واحدة ، وبعده مع الرشيد نحواً من خمسة عشر سنة ، وفي خلال هذه السنوات من حكم هؤلاء عاش معاناة قاسية نتيجة لظلمهم وطغيانهم وقسوتهم على أئمة أهل البيت (ع) وأتباع مدرستهم ـ كما سنشير إليه في ثنايا البحث ـ .

ورغم مثابرة السلطة الحاكمة في التضييق عليه ، وتحديد حرية تحركه فإنه دعم ـ وبصرة غير علنية ـ

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني ـ أُصول الكافي : ١/٤٧٧ الطبعة الثالثة دار الكتب الإسلامية ـ طهران ١٣٨٨ هـ .

التحرك المضاد للسلطة والعمل على الإطاحة بها ، من خلال مساعدة الثورات والحركات التي حدثت في تلك الفترة لمجابهة الحكم العباسي .

ولما كان العصر العباسي قد زخر بأفكار وعقائد وفدت مع انتقال الناس على اختلاف طبقاتهم إلى العاصمة العباسية للعمل والاستفادة ، فقد تكونت موجة من الغزو العقائدي ، والدعوة المحمومة للإلحاد ، والزندقة ، وخاصة في عهد الإمام الكاظم (ع) ، وكان له معهم مواقف ومناقشات جادة ، وعلى مسمع ومرآى من السلطة الحاكمة .

وإلى جانب هذا كله فقد اهتم بالجانب التربوي لأتباع مدرسته خاصة ، وتنمية السلوكية الإسلامية في الأفراد والجماعات على ضوء المرسم الإمامي الذي يصرح بأن «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فإن عمل حسناً استزاد منه ، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب» .

ويوصي أولاده مرة بالسلكوية الإنسانية مع الناس فيقول لهم : «يا بني أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها . إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الأذن اليمنى مكروهاً ، ثم تحول إلى اليسرى فاعتذر إليكم ، وقال :

إني لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره . . .»[1] .

ولقد أجمع المؤرخون : أن الإمام موسى الكاظم (ع) كان جواداً سخياً قد أنفق ما عنده من أموال على الفقراء والمحرومين والبائسين وأصبح مضرب المثل بصراره المالية التي كان يدفعها للمحتاجين ، حتى قيل : «عجباً ممن جاءته صرار موسى ، وهو يشتكي القلة والفقر . .»[2] .

خلّف من الأولاد ذكوراً وإناثاً عدداً كبيراً ، وصلت بهم بعض المصادر إلى سبع وثلاثين ، وذكر عنهم بأن لكل واحد منهم «فضل ومنقبة مشهورة»[3] .

وقد أمر بسجنه هارون الرشيد عدة مرّات ، آخرها لدى السندي بن شاهك[4] ، والذي دس إليه السم

---

(١) علي بن محمد بن أحمد المعروف بابن الصباغ المالكي ـ الفصول المهمة ٢٣٨ طبع النجف مطبعة العدل ١٩٥٠ .

(٢) السيد الأمين ـ أعيان الشيعة : ٢/٦ عن بعض المصادر .

(٣) المفيد ـ المصدر المتقدم : ٢٨٤ .

(٤) السندي بن شاهك مولى المنصور الدوانيقي ، وكان صاحب الشرطة في عهد الرشيد العباسي ، وجد الشاعر الشهير كشاجم محمود بن الحسين . راجع ما كتب عنه في : الزركلي ، ترجمة (محمود بن الحسين ـ كشاجم : ١٦٧/٦ الطبعة السابعة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٦) ، والقرشي ـ المصدر المتقدم : ٤٨٥/٢ ـ ٤٨٦ .

بـأمر من سيـده الرشيـد وفارق الحيـاة لخمس بقين من شهر رجب عام ١٨٠ هـ . وقد دفن في مقابـر قريش ـ في جـانب الكـرخ من بغـداد ـ وسميت المنـطقـة التي دفن فيهـا بـ «الكاظميـة» وأصبح مـرقـده المقـدس من المشاهد المشرفة في العراق ، ودفن إلى جانبـه حفيده الإمام محمد الجواد (ع) .

هذه الفقرات الموجزة من حياة إمامنـا السابـع من أئمـة أهـل البيت (ع) ، يمكن أن نعتبـرهـا مفـاتيـح شخصيـة الإمـام الكـاظم ومنهـا نلج إلى جوانب هـذه الشخصيـة العـظيمـة التي تبـرز لنـا حيـاة هـذا الإمـام وتجسد دوره الرئيسي في سبيـل الإسلام ، سـواء أكان الاتجـاه الفكري أو السلوك التـربوي في مـرحلة دقيقـة وخطيرة ، انحـرفت فيها مسيـرة الإسلام ، وأدى ذلـك إلى تمزيق الوحدة الإسلامية .

ونظراً لضيق الوقت سـوف أقتصر في حـديثي هذا على المنهج التربـوي عند الإمـام موسى الكـاظم وأثره في مدرسة أهل البيت ، ومسيرتها الخالدة عبر القـرون والأجيـال ، وانعكـاسهـا الحضـاري في المجتمـع الإسلامي .

ولا بد أن أشير إلى أن حديثي سيكون أقـرب إلى

الفهرسة من الشرح في هذا المضمار ، نظراً إلى أن عهد الإمام يمكن أن يكون حداً بين عهدين متمايزين في المجال التبليغي ، فإذا كان عهد الإمامين الباقر والصادق (ع) قد مثل دور الازدهار للحركة الثقافية الإسلامية لفكر أئمة أهل البيت، فمما لا ينكر أن عهد الإمام موسى الكاظم خاصة ، ومن بعده الإمام الرضا ، قد مثل الضمور والانطواء ، ولكل من الازدهار والضمور عوامله السياسية والاجتماعية التي دعت إلى ذلك ، ولعلنا نشير إلى بعضها في ثنايا البحث ـ حين تحكم المناسبة ـ ومن الله التوفيق .

الفصـــل الأول

البناء التربوي الإنساني

عنيت مـدرسة أئمـة أهـل البيت (ع) في الجـانب الفكري والبناء التربوي الإنسـاني عنايـة مركـزة امتدت أصـالتهـا إلى الإمـام علي بن أبي طـالب (ع) ، ذلـك الـذي قال عنـه رسـول الله (ص) : «أنـا مـدينـة العلم وعليّ بابها» نـظراً لضرورة بنـاء الإنسان المسلم فكـرياً وتـربويـاً ، فهما العـامـل الأسـاس للتـوجيـه السيـاسي للفـرد ، والذي هـو قوام المجتمـع الإنساني ، ولعلنـا نتلمس ذلـك جيداً من خـلال خـطب الإمـام علي (ع) القيمة ، وكلماته القصار الحكيمة ، والأحاديث الكثيرة لأئمة أهل البيت ، والتي جمعت في كتب وموسوعـات مهمة[1] ، وكلها تعالج مشاكل المجتمع ، وبناء إنسانه

(١) يراجع لـذلك كتـاب «نهج البـلاغة» والـذي يضم خطب الإمـام علي (ع) وكلمـاته القصـار ، وكذلـك الكتب الأربعة «الكـافي» و «من لا يحضره الفقيه» و «الاستبصار» و «التهذيب» ، وكـذلك =

بكل صدق وإخلاص .

ورغم أن الظروف القاسية التي مرت على أئمة أهل البيت ـ وهي تجسد الانحراف عن الخط الإسلامي والسذاجة العارمة للجماهير المغلوبة على أمرها ، والضغط الإرهابي الذي مارسه حكام المدارس المضادة لأئمة أهل البيت (ع) ـ فإنهم تمكنوا من نشر مبادىء الإسلام الصحيحة النقية ، والتي كان المسلمون بحاجة إليها في تقويم النفوس ، وردع المؤثرات اللاأخلاقية التي تمزق الشخصية الإنسانية ، وتغرس التخلف في الفرد والمجتمع ، والتي هي ركائز حكام البغي والضلال ضد الإنسان لإبقائه في عالم متحلل من القيم ، والمثل ، والكمال ، وليعيش الإنسان في بؤرة التخلف ليسهل عليهم إبقاء السلطات الحاكمة لغير الله في الحكم متسلطة على رقاب الناس ، متحكمة في عباد الله بأهوائهم ومصالحهم .

ولم تكن تلكم المواقف المشينة اللاإسلامية والتي

= كتاب «وسائل الشيعة» وغيرها من الموسوعات التي جمعت أقوال أئمة أهل البيت وأحاديثهم، وقد تناولت كل جوانب حياة الإنسان، ومنها يستطيع الإنسان أن يستخلص القيم الفكرية للإسلام .

بدرت من بعض الجماهير المدعية للإسلام ضد هذا البيت الطاهر من عهد الإمام علي حتى نهاية دور الإمامة ـ إلا نتيجة ضعف الوازع الديني الذي نشره حكام السوء على مرّ الزمن بداية من معارضة الإمام علي (ع) ، ومقتله ، وسم الإمام الحسن (ع) ، وقتل الإمام الحسين (ع) ـ وهما ريحانة رسول الله وسبطاه ـ ، ونهاية بسم الإمام الحسن العسكري (ع) ، وحتى هذا اليوم .

وبعد مأساة كربلاء خاصة وما دللت عليه من وحشية متناهية وقسوة فظيعة ، عمد الإمام علي بن الحسين (ع) إلى دور البناء الفكري التربوي ، والذي كان شبه مفقود حينذاك ، ثم جاءت مدرسة الإمام محمد الباقر (ع) ، وكان عهده يمثل الاضطهاد السياسي والاجتماعي ، فركز على هذا الجانب تركيزاً ملفتاً للأنظار ، بحيث أصبح بيته موئلاً لرواد العلم والفضيلة ، وشتى أنواع المعرفة ، وبقي هذا المعهد شامخاً طيلة حياة الإمام محمد الباقر (ع) ساعد على ذلك ضمور الدولة الأموية ، وبوادر التحرك العلوي والعباسي ضدهم ، وقد أخذ العلماء عنه واقتدوا به ، واتبعوا أقواله . وكانت مدرسته استمراراً لمدرسة أبيه

الكبرى[1] .

وبعد اغتياله من قبل سلطة هشام بن عبد الملك عام ١١٤ هـ انتقلت مسؤولية هذه المدرسة إلى الإمام الصادق (ع) ، ولم تقتصر في حينها على المدينة المنورة ، بل كان للكوفة نصيب كبير فيها حتى نقل عن علي بن الوشاء أنه قال : «أدركت في هذا المسجد ـ الكوفة ـ تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد»[2] .

ولقد تميزت مدرسة أهل البيت في عصر الإمام الصادق (ع) عن كل المدارس التي عاصرتها ، بسعة الأفق ، وتعدد المعرفة حتى قال عنها الجاحظ[3] : «فجّر الإمام الصادق (ع) ينابيع العلم والحكمة في الأرض وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من

---

(١) السيد حسن الأمين ـ دائرة المعارف الشيعية : ٢/ ٧٠ الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٣ .

(٢) حسن الأمين ـ المصدر السابق .

(٣) عمرو بن بحر ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ ، أحد أعلام الأدب العربي ، ولد بالبصرة عام ١٦٣ هـ وتوفي فيها عام ٢٥٥ هـ ، له تصانيف عديدة منها : البيان والتبيين ، أحد الكتب الأربعة في الأدب العربي ، راجع ترجمته في الزركلي ـ الأعلام : ٥/ ٧٤ .

قبل ، وقد ملأ الدنيا بعلمه»[1] .

وساعدت ظروف أواخر عمر العهد الأموي ، وأوائل العهد العباسي على فسح المجال للإمام الصادق (ع) في بث دعوته البناءة ، لكن ما أن استتب الأمر للعباسيين ، حتى اغتاله المنصور الدوانيقي عام ١٤٨ هـ تخلصاً منه[2] .

ولقد أشرنا إلى أن الإمام موسى الكاظم (ع) قطع نحواً من عشرين عاماً مع أبيه الصادق ينتهل من نمير علمه ، ويستفيد من أخلاقه العالية ويستقي من فضله ، حتى أصبح وهو في مطلع شبابه مصدر إعجاب العلماء وتقديرهم ، وحكماً مفضلاً في حل أكثر المشاكل تعقيداً وتشعباً[3] . وحتى وصل الأمر بأصحاب الإمام موسى وخواصه ، أنهم كانوا يحضرون مجلسه ، فإذا نطق بكلمة أو أفتى في نازلة بادروا إلى تسجيل ذلك[4] .

---

(١) الجاحظ ـ الرسائل : ١٠٦ تحقيق السندوبي .

(٢) محمد بحر العلوم ـ دور الأئمة في المسيرة الإسلامية : ٢٦ طبع دار الزهراء بيروت ١٩٨٥ م .

(٣) السيد معروف ـ سيرة الأئمة الاثنا عشر : ٢/٣٠٩ ـ ٣١٠ طبع دار القلم بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨١ .

(٤) القرشي ـ المصدر السابق : ١/١٠١ ـ ١٥٢ عن القمي ـ الأنوار البهية : ٩١ .

كما أشارت بعض المصادر[1] بأن غالبية طلاب مدرسة أبيه الإمام الصادق إن لم يكن جميعهم قد تابعوا مسيرتهم الفكرية معه حين تحمل مسؤولية الإمامة بعده ، وكان لهم دور بارز في نشر أفكار الإمام الكاظم وآرائه وأحاديثه ، وزودوا العالم الإسلامي بنتاجهم القيم مما دل على أن النهضة الفكرية بقيت تزدهر شطراً من عهد الإمام ، حين كانت السلطة الحاكمة قد غضت النظر عن تحركه التربوي ، لكنها حين لمست تحركه السياسي ـ رغم خفائه ـ خشيت تفاقم الأمر ضدها ، فضيقت عليه ، وتابعت ملاحقته ، سواء أكان في المدينة المنورة ، أم في العراق حينما كان يُجلب إلى الحاكم العباسي .

ولنا أن نتلمس المعالم الشاخصة من أُسلوبه التربوي الإنساني ، وهو الحديث الرئيسي لنا في هذا البحث .

---

(١) أحصى الشيخ القرشي في المصدر المتقدم : ٢/٢٢٣ ـ ٣٧٤ عدد الرواة عنه وملازمي مدرسته فبلغ بهم ٣٢١ شخصاً . وأغلبهم كانوا من أصحاب أبيه الإمام الصادق (ع) ، في حين ـ كما يدعي القرشي ـ يرى أحمد بن خالد البرقي أن عددهم مائتين وستين شخصاً .

والإنسان مرهون بتربيته وسلوكيته ، كما هو مقيد بالبيئة التي يعيش فيها ، وكذلك بناء شخصيته في دورها الأول تعتمد المدرسة التي يستقي منها معارفه ، وينمي فيها ملكاته ومواهبه ، بحيث يمكنه السيطرة على المؤثرات الداخلية ـ رغباته ونزعاته وأهوائه ـ والتحكم على المؤثرات الخارجية التي تحيط به ، وتجره إليها ، نتيجة الترغيب والترهيب أو أيّ دافع آخر يؤدي بالتالي إلى الانحراف ، ولذا «فالفرد المتكامل ، يعني الموجود المتحرر من جبر الدوافع الداخلية ، والبيئة الخارجية ، والمرتبط بالعقيدة والإيمان . . . وحين يكون الموجود متكاملاً ـ طبقاً لخصائص التكامل ـ يتجه كلما تكامل نحو السيطرة والتحكم في محيطه والاستقلال عنه . وإنسانية الإنسان تتجه كلما تكاملت ـ على الصعيدين الفردي والاجتماعي ـ نحو الاستقلال والسيادة على سائر الجوانب . . . »[1] .

ومن هذا المنطلق التربوي كانت ممارسة الإمام موس الكاظم (ع) في بناء شخصية أتباع مدرسته ، والاهتمام بتكوينهم الإنساني وفق المرتكزات الأساسية

---

(١) المرحوم الشهيد مرتضى مطهري ـ الإنسان والإيمان : ١٩ طبع طهران .

للعقيدة الإسلامية ، والتي هي صمام الأمان للإنسان من الانحراف عن خط المسيرة الهادفة لبلوغ أصالة التربية الإسلامية ، وضمان المعطيات التربوية في المجتمع الإسلامي .

إن الوازع الديني في ضمير الإنسان هو عنصر الرقيب الرادع «فالرقابة في الإسلام لا تأتي من شخص على شخص ، ولا من هيئة على هيئة ، وإنما هي رقابة الإنسان لربه . ونضج الضمير الديني ، وهذا وحده قوة كامنة في الإسلام» .

والإمام موسى (ع) حين يحاول رسم الخط البياني إلى المسلمين لمقومات الشخصية الإسلامية ، فإنما يريد أن يكون العمل بذلك متسقاً مع واقع المسؤولية الرسالية للإنسان المسلم ، فهو خلق :

أولاً : لأن يكون فرداً صالحاً مقوماً لمجتمعه .

ثانياً : وأن يكون خلاقاً في تطوير مجتمعه نحو الأفضل .

ثالثاً : وأن يكون حراً في إرادته ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

هذا الكائن الإنساني لا بد أن يصاغ وفق متطلبات

الإسلام وأن يكون في آن واحد فاعلاً ومتفاعلاً في مجتمع العقيدة ، والذي هو محور خلقه من قبل الله في هذه الدنيا ، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ﴾[1] .

ومن هنا نرى أن النتيجة المزرية التي تترتب على فقدان الشخصية الهادفة ، كبيرة جداً على الإنسان نفسه ، وعلى مجتمعه ، فانحلال الشخصية معناه عدم القدرة على صنع مصيره ، وعجزه عن المساهمة في صنع الآخرين .

يقول الإمام موسى الكاظم في وصيته لهشام بن الحكم[2] :

«يا هشام : إن أمير المؤمنين «علي» (ع) كما يقول : لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه

---

(١) سورة المؤمنون ؛ الآية : ١١٥ .

(٢) أبو الحكم ، هشام بن الحكم البغدادي الكندي ، مولى بني شيبان ، من أصحاب الإمامين : الصادق والكاظم (ع) ، وله منزلة رفيعة عند أئمة أهل البيت ، توفي في الكوفة عام ١٧٩ هـ . ذكر أن الإمام الصادق كان يحترمه ، ويقدمه ، وهو شاب على شيوخ أصحابه ذوي الرتب العالية ، ويقول فيه : «هذا ناصرنا بقلبه ، ولسانه ويده» . راجع ما ذكر عنه الشيخ محمد حسين المظفر ـ الإمام الصادق (ع) : ٢/١٧٦ الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٩٧٨ دار الزهراء للطباعة والنشر .

ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجر القوم عن الكلام ، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله ، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق»[1] .

ومدرسة أئمة الهدى من أهل بيت المصطفى (ع) وضّحت الهدف من هذه الحياة للإنسان ، وعملت على إعداده ، وتهيئته لمسؤولية القيادة والريادة في المسيرة الإنسانية .

والله سبحانه وتعالى حيث حمل الإنسان مسؤولية الخلافة في الأرض أنعم عليه بمدركات حسية يستطيع بها تنمية قابلياته وإمكانياته الكامنة في أعماقه لغرض السيطرة على كل إنحراف يضر بصالح الإنسان ومسيرته ، و (العقل) الذي منحه الله يمكنه أن يعصمه من كل زلل فهو الكابح والموجه في آن واحد للمسترشد به ولتوضيح هذه الحقيقة يقول الإمام الكاظم (ع): «إن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه ، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين»[2] .

والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته

(١) الحسن بن علي بن شعبة ـ تحف العقول عن آل الرسول : ٢٨٧ الطبعة الخامسة ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٣٩٤ هـ .

(٢) ابن شعبة ـ تحف العقول : ٢٩٢ .

على عـوامـل التـطور الحقيقيـة في المجتمعـات ، ويستخـدم طاقـاتها الـواعيـة في تـدبـرهـا والبحث عن أسبابها ونتائجها .

ولـذا فإن الإهتمـام المـوجـه ينصب على التـربيـة العقليـة ، لأنها في رأي مـدرسة أهـل البيت (ع) غايـة ووسيلة لإدراك كل شيء ، والحقيقة ﴿**لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا في أَصْحَابِ السعِيرِ**﴾[1] .

وتتجلى النـزعة العقليـة في الفكر التـربـوي عنـد الشيعة واضحة خاصة عند الإمام موسى بن جعفر (ع) حين يقول لتلميذه هشام بن الحكم :

«يا هشام ، إن الله تبارك وتعالى بشَّـر أهل العقـل والفهم في كتابه فقال : ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِين يَسْتَمِعُونَ القولَ فَيَتَّبِعُون أَحْسَنَهُ أُولئِك الَّذِين هداهم الله وأُولئـك هُمْ أُولُوا الأَلْبَابَ**﴾[2] .

«يا هشام ، إن الله عزّ وجلّ أكمل للناس الحجـج بالعقول ، وأفضى إليهم بـالبيان ، ودلّهم على ربـوبيته بالأدلة . . . »[3] .

---

(١) سورة الملك ؛ الآية : ١٠ .

(٢) سورة الزمر ؛ الآيتان : ١٧ و ١٨ .

(٣) ابن شعبة ـ المصدر السابق ٢٨٣ .

ولم يقتصر اهتمام العقل في التربية الإسلامية على الإمام موسى بن جعفر (ع) فحسب ، إنما احتل مكانة كبيرة في مدرسة أهل البيت ، حتى جعل أساساً عندهم في معرفة الأحكام الشرعية التي لا دليل عليها من قبل الشرع ، ولذا ظهرت جلية النزعة العقلية في الفكر التربوي عند الشيعة[1] نظراً لكون العقل الواعي ضماناً للحرية الفكرية ، وعاصماً للإنسان من التفريط بها[2] . ولأن الشخصية الإنسانية يمكنها أن تبدع في خلق حضارة إسلامية ، حين يكون التكامل الوجداني قائماً على أسس تربوية بناءة تستمد أصولها من كتاب الله المجيد ، وسنة نبيه العظيم ، وأئمة الهدى من أهل بيت المصطفى ـ عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

= ويمكن مراجعة وصية الإمام موسى بن جعفر (ع) لهشام بن الحكم ، وصفته للعقل في ابن شعبة ـ المصدر المتقدم ٢٨٣ ـ ٢٩٦ .

(١) راجع ما كتبه د . علاء الدين السيد أمير محمد القزويني ـ عن «النزعة العقلية في الفكر التربوي عند الشيعة في كتابه «الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية» : ١٧٤ ـ ١٨١» الطبعة الثانية ـ الكويت ١٩٨٦ م (رسالة دكتوراه ـ جامعة عين شمس القاهرة) .

(٢) الشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ المدرسة الإسلامية : ١٢٧ طبع دار الزهراء للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٠ هـ .

الفصـــل الثاني

التطبيق العملي للبناء التربوي عند الإمام الكاظم (ع)

«طـريقة الإسـلام في التربيـة هي معالجـة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً ، ولا تغفل عن شيء : جسمه ، وعقله ، وعقله ، وروحه ، حياته المادية والمعنوية ، وكل نشاطه على الأرض»[1] .

ومـدرسـة أهـل البيت (ع) تنـاولت في منهـاجها التربوي معالجة الإنسان من كل جـوانبه ولم تغفـل عن أيّ جانب منه ، ولعلنا لو ألقينـا نظرة على مـوسوعـات الحـديث ، الخـاصـة بـأقـوال وأحـاديث أئمـة الهـدى لـوجدنـاها حـافلة بمعـالجـة الإنسـان المسلم من كـل جانب يشكل نقطة مركزية في حياة الإنسان وتقويمها .

ومن الطبيعي أن تكون المعالجة شـاملة ، لأن في

(١) محمد قطب ـ منهج التربية الإسلامية : ١٨ الطبعة السادسة طبع دار الشروق ـ بيروت ١٩٨٢ م .

أعماق الفرد غرائز لو لم يسيطر عليها لدفعت بالإنسان إلى مهاوي الرذيلة ، والإنحراف ، والانزلاق . يقول الإمام موسى (ع) :

«يا هشام : من أكرمه الله بثلاث فقد لطف له : عقل يكفيه مؤنة هواه ، وعلم يكفيه مؤنة جهله ، وغنى يكفيه مخافة الفقر»[1] .

وحين يتوجه الإمام الكاظم إلى تربية النفس ويحاول أن يوضح مفهوم الإصلاح النفسي ، والاجتماعي للأفراد ، فإنه (ع) يضع في حسابه عوامل الحاجة ، والاضطهاد ، والدوافع اللاأخلاقية ، والطيش الشخصي ، وسائر المؤثرات الداخلية والخارجية ، لتكون المعالجة المشخصة أكثر نفعاً ، وأكبر أثراً في الفاعلية النفسية . فقد تكون إحدى هذه العوامل ذات تأثير واسع على الفرد بحيث تأخذ مسارب سلوكه ، فتنعكس ـ حينذاك ـ سلوكية ممجوجة يرفضها الواقع الإسلامي ، ولكن يصر على معالجتها ، قبل إهمال صاحبها فالإصلاح قضية أساسية ، تقتضيها طبيعة التكامل الإسلامي ، والقيم الأخلاقية التي تنادي بها مدرسة أهل البيت .

---

(١) ابن شعبة ـ المصدر المتقدم : ٢٩٥ .

وحين ننتقل إلى مجال عرض النماذج التربوية التي سلكها الإمام موسى (ع) مع الأمة على اختلاف قطاعاتها ، فسوف لا يكون شمولياً ، إنما محدداً نظراً لعدم تهيىء الفرصة لتناول ذلك بصورة تفصيلية .

ولنقرأ معاً هذه الصورة الحية من منهج البناء التربوي في مدرسة الإمام وحينها نستطيع أن ننتهي إلى رأي مثبت بأن أئمة أهل البيت (ع) خلقوا رحمة للعباد ، فمن اقتدى بهم اهتدى ، ومن تخلف عنهم خسر وهوى .

أولاً ـ الأسلوب الإيماني :

تقول الرواية :

اجتاز الإمام موسى بن جعفر (ع) على دار بشر الحافي[1] ببغداد فسمع الملاهي ، وأصوات الغناء

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي ، أبو نصر ، المعروف بـ «الحافي» . ولد عام ١٥٠ هـ من أهل مرو ، ثم سكن بغداد ، وتوفي بها عام ٢٢٧ هـ . من كبار الصالحين ، له في الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات أهل الحديث . وصفه الأعلام بما يدل على ورعه وزهده ووفرة عقله . راجع ترجمته في : الشيخ عباس القمي ـ الكنى والألقاب : ١٥٢/٢ ـ ١٥٥ طبع الحيدرية ـ النجف ١٣٧٦ هـ والسيد الأمين ـ المصدر المتقدم : ٥٧٨/٣ والزركلي ـ الأعلام : ٥٤/٢ .

تخرج من تلك الدار ، فخرجت جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الدرب ، فقال (ع) لها : يا جارية صاحب هذه الدار حر ، أم عبد ؟ فقالت : بل حر . فقال : صدقت لو كان عبداً خاف من مولاه . فلما دخلت ، قال مولاها ، وهو على مائدة السكر ما أبطأك ؟ فقالت : حدثني رجل بكذا وكذا ، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم (ع) فتاب على يده ، واعتذر وبكى لديه استحياءً من عمله[1] .

هذه الواقعة تدلنا على أن النفس فيها القدرة على تجنب الانحراف والابتعاد عن الشر ، والإيمان السلوكي هو الذي يدل على بروز الجانب الإنساني الأصيل ، وإخماد وهج الغرائز الشهوانية التي تنتهي بالإنسان ـ لو أسلس لها القياد ـ إلى حضيض الانحدار ، ومهاوي الانزلاق .

وحين أثار الإمام الكاظم ـ في رسالته الموجزة ـ في أعماق بشر الحافي كوامن الأصالة التي طغت عليها الغرائز الشهوانية ، والحرية اللاهية ، دون أن يكبح جماحها موجه ، أو يقف أمام تفجرها رادع قوي

(١) القمي ـ الكنى والألقاب : ١٥٣/٢ والسيد الأمين ـ المصدر المتقدم : ٥٧٩/٣ .

استجابت إلى ذلك الهاجس الهادر الذي انساب من كلمات الإمام الكاظم (ع) وولج في أعماقه ليثير كوامن الأصالة الإيمانية ويدفعها إلى الإنبعاث ، والإيمان يصنع الإنسان ـ كما يقولون ـ .

إن حديث الإمام ، ودعوته إلى الإيمان صنعت بشراً الحافي حين تعمق فيها وعرف مضامينها فهب مذعوراً يبحث عن معلمه ، ورافده وأمام هذه الهزة العنيفة كمنت الغرائز الشريرة ، وانضمرت ، ثم خمدت ثم دبت غرائز الخير في خضم تحرك الضمير الإنساني ، وتفاعل العقل ، وعندها تفجر إحساس عنيف وشعور حاد بالتقصير ، والتمادي بالباطل ، وكانت ردة الفعل أقوى ، وأكبر مما يتصور مع إنسان قضى وطراً كبيراً من حياته في أجواء الفساد ، وأخيراً انتصر الكمال ، وأصبح بشر الحافي غيره بالأمس ، وذلك بفضل توجيه الإمام الكاظم ، ودعوته الهادفة لبلوغ الكمال .

ولا شك أن المؤثر لا بد أن يكون قوياً وفاعلاً إلى درجة السمو بحيث يمكن أن يكون الوازع الديني في أعماق النفس ، ودخائل الذات ، أقوى وأكثر فاعلية من الدوافع الغريزية لتصبح في لحظات هي التي

تتولى قيادة التسيير والتوجيه لذلك الإنسان الضائع ، وتضفي عليه ذلك الإطار التغييري الذي يتوخاه الإسلام .

ثانياً ـ تشخيص المشكلة ومعالجتها بما يقتضيها :

تقول الرواية :

إن رجلاً كان يسيء للإمام ، ويكيل السب والشتم لجده الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، فأراد بعض أصحاب الإمام أن يقتله ، فنهاه الإمام موسى (ع) عن ذلك ، وطلب أن يترك الأمر له ، ليعالج حاله بأسلوب هادىء ، وسأل عنه فقالوا له إنه يعيش في مزرعته في بعض نواحي المدينة ، فركب (ع) بغلته وذهب إليه متنكراً ، ودخل عليه في المزرعة ، فصاح الرجل لا تطأ زرعنا ، فلم يعتن الإمام أذ لم يجد طريقاً يسلكه غير ذلك ، ولما انتهى إليه جلس إلى جانبه ، وأخذ يلاطفه في الحديث ، ثم قال له بكل لين : كم غرمت في زرعك هذا ؟ فقال الرجل : مائة دينار ، فقال الإمام : وكم ترجو أن تصيب منه ؟ ، قال : أنا لا أعلم الغيب ، قال الإمام : إنما قلت لك كم ترجو أن يجيئك منه ؟ قال : أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار .

فأعطاه الإمام (ع) ثلاث مائة دينار ، وقال له : هذه لك ، وزرعك على حاله . فتغير الرجل وخجل من نفسه على ما فرط منه من قبل في حق الإمام ، وتركه (ع) ومضى إلى الجامع النبوي ، فوجد الرجل قد سبقه ، فلما رأى الإمام مقبلاً قام إليه تكريماً ، وانطلق يهتف : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

واستغرب أصحاب الإمام منه هذا التغيير المفاجيء ، فالتفت إليهم الإمام موسى (ع) وقال لهم : أيما كان خيراً ؟ ما أردتم ، أو ما أردت من إصلاح حاله[1] ؟ .

كان الإمام موسى (ع) يعالج القضايا حسبما يقتضي ظرف الشخص المعالج ، فالأسلوب الإرشادي يتنوع تبعاً لما يستدعيه المقام ، ويتطلبه الحال .

و «الحلم» من الصفات المميزة للإمام موسى (ع) فقد ضرب مثلاً في كظمه الغيظ ، حتى عرف بـ «الكاظم» ، وكان يعفو عمن اعتدى عليه ، ويرحم

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني ـ مقاتل الطالبيين : ٣٣٢ الطبعة الثانية المطبعة الحيدرية النجف ١٣٨٥ هـ . والسيد الأمين ـ المصدر السابق : ٢/ ٧ والقرشي ـ المصدر السابق : ١/ ١٥٦ ـ ١٥٧ نقلاً عن الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد : ١٤/ ٢٨ ـ ٢٩ .

من يتقصد الإساءة إليه ، ـ هذه خصيصة أئمة الهدى ـ لكن الإمام موسى عرف بها أكثر من غيره .

وكان لهذا الأسلوب الرحيم أثره في نفوس أولئك الذين يتقصدون الإساءة إليه ، فيقابلهم بالرحمة والكرم ـ من موضع الإمكان والاقتدار ـ فيكون الأثر رائعاً ومؤثراً في النفس ، ويدعو إلى الألفة والمحبة ، وجمع الكلمة .

إن منهج الأئمة (ع) يرى «كفى بالحلم ناصراً» وإن المعالجة النفسية قد يكون أثرها أكثر فعلاً من أي أسلوب آخر ، كما رأينا في معالجة الإمام (ع) مع شخص أعلن له العداء ، وجاهر بسبه وسب آبائه الكرام ، وكان من الممكن له أن يبعث رجلاً من خاصته فيصفي معه حسابه ، ولكن هذا الأسلوب الانتقامي لم يكن من طبيعة قادة الأمة وأخلاق الأئمة ، ولذا عمد إلى أسلوب إنساني يعالج فيه المشكلة . ولا شك أن الإنسان مهما كانت طبيعته سلبية فإن الجوانب الخيرة الكامنة في الأعماق يمكن إثارتها ، ثم تطوير قدرتها ، حتى تصبح أداة ذات أثر فاعل في ميدان الاعتدال ، وفيها الاستعداد للاستجابة لنداء العقل . فليس من الشرور الاعتقاد بأن الغرائز السلبية إذا

استيقظت لا يمكن إعادتها إلى ركونها وخمودها ، فالإنسان خلق ليكون إنساناً ، والإنسانية هي الأصل في سلوكية الفرد ، والشذوذ أن يعدل عنها إلى ضدها نتيجة انحراف . وفعلاً عاد هذا الشخص الذي كان منحرفاً عن طريق الحق إلى صوابه بعمل بسيط لم يكلف الإمام ثمناً غالياً ، فالجود من طبعه ، والكرم أحد خصائصه ، والانتقام ليس من عادته ، إنه يحسن لمن أساء إليه ويهب الكثير للذي يعتقد أنه يصلح ، وهكذا كان في قضيته مع هذا الإنسان الذي كان عدواً فأصبح محباً رهين اللطف المحمدي ، كفى بالحلم ناصراً ، وبالكرم مساعداً ، وبالإحسان صديقاً .

قال تعالى : **﴿ادفعْ بالتي هي أحسنُ ، فإذا الَّذِي بينك وبينه عداوةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**[1] .

ثالثاً ـ المودة الاجتماعية :

تقول الرواية :

إن الإمام موسى (ع) مرّ برجل من أهل السواد ، دميم المنظر[2] ، فسلم عليه ، وحادثه طويلاً ، ثم

---

(١) سورة فصلت ؛ الآية : ٣٤ .

(٢) دميم المنظر ، أي قبيح المنظر .

عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت له ، فقيل له : يا ابن رسول الله (ص) أتنزل إلى هذا ، ثم تسأله عن حوائجه ، وهو إليك أحوج ؟

فقال (ع) : عبد من عبيد الله ، وأخ في كتاب الله ، وجار في بلاد الله ، يجمعنا وإياه خيرُ الآباء آدم (ع) ، وأفضل الأديان الإسلام ، ولعل الدهر يرد من حاجاتنا إليه ، فيرانا ـ بعد الزهو عليه ـ متواضعين بين يديه .

ثم قال (ع) : نواصل من لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديق[1] .

التربية في حقيقتها : عملية إعداد وتنشئة وتوجيه ، وإصلاح وبناء .

والإمام موسى الكاظم يحاول في هذه المواقف أن يربي المسلمين على النهج القويم ، والمعايشة السليمة ، والاهتمام بالتآلف والمحبة بين أفراد المجتمع الواحد .

فالشخص الذي أشرنا إليه في بداية هذا الحديث كان دميم المنظر ، أي قبيحه ، وطبيعة الناس تنفر من

---

(١) ابن شعبة ـ المصدر السابق : ٣٠٥ .

قبيح المنظر ، وبمرور الزمن يكون هذا الإنسان منبوذاً من مخالطة الأفراد ، بعيداً عن تجمعاتهم وبالتالي تتكون لديه عقدة الكراهية من كل من حوله ، وبذلك تحصل المشكلة الاجتماعية ، والتي ستنعكس حتماً على المجتمع الذي يكون هذا الشخص أحد أفراده ، وعضواً من أعضائه .

إن قبح المنظر ليس عملاً شخصياً ، إنما هو أمر لا إرادي ، وعلى أفراد المجتمع أن يتقبلوا هذه الحقيقة ، ويتعودوا عليها ، خلقة الله التي لا مناص منها ، وإذا كان المنظر قبيحاً ـ وهو المظهر الخارجي ـ فقد تكون دخيلته عالية إلى درجة السمو بالنفس ، وبهذا يكون عضواً نافعاً للمجتمع الذي في طبيعته يجمع بين كل الوجوه .

والإمام موسى (ع) أراد أن يفهم الناس أن لا يعزل هذا الرجل فهو لا يختلف عن الآخرين بشيء ، كلهم من أب واحد، ودينهم واحد ويضمهم مجتمع واحد وإنطلاقاً من هذه الحقيقة كان اهتمام الإمام (ع) منصباً في إعطاء الدرس الاجتماعي لشيعته بهذا الشخص ، ومعالجة مشكلته التي لا إرادة له في تكوينها ، «المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع

اثنتان»[1] .

كان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري[2] ، يرى : أن فكرة الحياة الإنسانية هي الفضيلة ، والإنسان هو الفاضل فقط ، إذن فعلى الناس أن يشيعوا الفضيلة بينهم ، وأن يرفروا كل جهودهم على تحقيقها وانتهاج سنتها وأساليبها[3] .

رابعاً ـ العزة في المسألة :

تقول الرواية :

كانت لرجل ديون على جماعة من أهالي يثرب ، فقدم إليهم ليستحصل ديونه منهم فبقي مدة يطالبهم ، ويلح عليهم فلم يظفر بشيء من ديونه ، فعنّ له أن يتشرف بمقابلة الإمام ، وأن يشكو له الحاجة والفقر ،

---

(١) من كلمات الإمام الكاظم (ع) راجع ابن شعبة ـ المصدر السابق : ٣٠٥ .

(٢) جندب بن جنادة ، من أجلاء الصحابة ، قال عنه رسول الله (ص) : «ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» ، مات في زمن عثمان بن عفان بالربذة غريباً عام ٣١ أو ٣٢ هـ . راجع ترجمته السيد الأمين ـ المصدر السابق ـ : ٤/ ٢٢٥ ـ ٢٤٢ .

(٣) د. علاء الدين القزويني ـ المصدر المتقدم ـ : ٦٩ .

فمضى إليه وكان (ع) في بعض ضياعه قرب المدينة المنورة ، ولما وصل إلى الإمام رحب به وتناول معه الغداء ، وبعد الفراغ من تناول الطعام ، سأله الإمام عن حاله ، فأخبره بقصته ، وضيق حاله ، فقام الإمام (ع) فدخل البيت ثم خرج فأمر غلامه بالانصراف ـ كي لا يراه فيكون ذل على السائل ـ ثم أعطاه صرة فيها ثلثمائة دينار ـ لعلها أكثر من ديونه ـ فأخذها صاحب الحاجة وانصرف ، شاكراً للإمام ، وداعياً له بالخير[1] .

وهذه القضية على بساطتها كبيرة المضمون ، لا من حيث المال ، فالجود والكرم خصيصة أصيلة في أئمة أهل البيت ، وخاصة الإمام موسى بن جعفر (ع) ، الذي عُرف بسخائه وجوده وكرمه . وقد روي ـ كما أشرنا ـ عن صراره للفقراء والمساكين والمحتاجين ، حتى نقل بعض المؤرخين : أن الإمام موسى (ع) كان إذا بلغه عن الرجل ما يكره ، بعث إليه بصرة دنانير فكانت صرار موسى مثلاً[2] . إنما المهم في هذه القضية هو اهتمام الإمام (ع) بكرامة السائل

---

(١) القرشي ـ المصدر السابق : ١/١٥١ عن الخطيب البغدادي .
(٢) الأصفهاني ـ المصدر السابق : ٣٣٢ .

الـذي اضطر إلى كشف حـاجته لـه ، فحرص على أن يصـونها حتى من غـلامه عن ثقـل الـذل الـذي يصيب السـائل ولـو كان المسؤول مثـل الإمام مـوسى الكاظم (ع) . والمشهـور أن السؤال ذل ، وإن كـان استفسـاراً عن الطريق .

وحين لا يكون السؤال استجداء ، ولا عادة ارتزاق فـإن المسؤول لا بد أن يقـدر هذا المـوقف الاجتماعي والأخـلاقي ويرعى المصلحـة الإنسانيـة التي هي قوام الإنسان ، والتي تنبذ كـل أنواع الاستجـداء ، المنافيـة لأصل الكرامة .

والمعروف عن أئمة الهدى ، وفي مقدمتهم الإمام عـلي بن أبـي طـالب ، والإمـام عـلي بن الـحسيـن ـ (ع) جميعـاً ـ أنهم كـانـوا إذا جنّ الليـل يحملون الأكيـاس ، ويلفـون على بيـوت المسـاكين والفقـراء والمستضعفين ويوصلون ما قسمه الله لهم ، ولم يعرف عنهم ذلـك إلا بعـد مـوتهم ، حيث تنقـطع الـصلة والمساعدة .

وتحـدثت المصادر عن بـر الإمام مـوسى الكـاظم (ع) وإحسـانـه ، ومـا كـان ينفقـه في سبيـل الله على الفقراء والمساكين والضعفـاء ، وكان يتحـرى أن تكون

صلاته لهم سراً لا يعرف بها أحد ، كي لا يجزع السائل من ذل الحاجة[1] ..

خامساً ـ التربية الإيمانية :

تقول الرواية :

روي عن أبي حنيفة[2] أنه حج في أيام الإمام الصادق (ع) ولما زار المدينة المنورة قصد دار الإمام أبي عبد الله (ع) لزيارته ، فالتقى بولده موسى (ع) ـ وهو شاب ـ فسأله بعض المسائل فأجابه إجابة بحيث «نبل في عينه ، وعظم في قلبه» ـ على حد قوله ـ ثم توجه إليه بالسؤال التالي :

---

(١) السيد الأمين ـ المصدر السابق ؛ ٢/ ٦ . والقرشي ـ المصدر السابق : ١/ ١٥٠ ـ ١٥٥ السيد هاشم معروف ـ المصدر السابق : ٢/ ٣١٩ . وقد روى الخطيب البغدادي في تاريخه بعض هذه القضايا .

(٢) النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة ، التيمي بالولاء ، الكوفي ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإمام الحنيفة ، ولد بالكوفة عام ٨٠ هـ ونشأ بها ، انقطع إلى العلم والإفتاء والتدريس ، أراده المنصور العباسي للقضاء ببغداد ، فأبى فحلف المنصور ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل ، فحبسه المنصور إلى أن مات عام ١٥٠ هـ ، ودفن ببغداد . ترجمه الزركلي ـ الأعلام : ٨/ ٣٦ .

جعلت فداك ممن المعصية ؟

قال أبو حنيفة : فنظر إليّ وقال :

إن المعصية لا بد أن تكون : إما من العبد أو من ربه ، أو منهما جميعاً . فإن كانت من الله فهو أعدل ، وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله .

وإما أن تكون منه ومن العبد ، وهو أقوى الشريكين ، والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف ، والعفو عنه .

وإن كانت من العبد وحده ، وهو كذلك فعليه وقع الأمر وإليه توجه النهي ، فإن عفا عنه فبكرمه وجوده ، وإن عاقبه فبذنبه وجريرته .

وأضاف إلى ذلك الراوي :

أن أبا حنيفة قال : فاستغنيت من الغلام ، وانصرفت بدون أن ألقى أبا عبد الله الصادق (ع) ، وقلت : ذرية بعضها من الله ، والله سميع عليم[1] .

---

(١) ابن شعبة ـ المصدر المتقدم : ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، والشريف المرتضى ، علي بن الحسين ـ أمالي المرتضى : ١/١٠٥ ـ ١٠٦ الطبعة الأولى القاهرة ١٣٢٥ هـ . وأضاف السيد المرتضى في المصدر السابق : ١/١٠٦ الآتي بعد أن =

هذه الكلمة القصيرة التي ألقاها الإمام موسى (ع) على أحد أشهر أعلام المسلمين ، كانت جملة كبيرة في مضمونها التربوي ، ومدى اهتمامه في توجيه الناس على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم إلى ما يصلح لهم ، ومعرفة ما يمكن أن يغيب عنهم ، فالإنسان إذا عرف الله حق المعرفة وصل إلى الحقيقة الأصيلة ، التي يبحث عنها الباحثون والتي تكمن فيها السعادة النفسية .

يقول الإمام موسى الكاظم (ع) في وصيته لتلميذه هشام بن الحكم : «يا هشام : نصب الخلق لطاعة الله ، ولا نجاة إلا بالطاعة ، والطاعة بالعلم ، والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعقل يعتقد ، ولا علم إلا من عالم رباني ، ومعرفة العالم بالعقل»[1] .

الإمام موسى (ع) حين يوضح لأبي حنيفة

= ذكر الحديث السابق قال :

وقد نظم هذا المعنى شعراً ، فقيل :

لم تخل أفعالنا اللآتي نذم بها إحدى ثلاث خلال حين نأتيها
إما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

(١) ابن شعبة ـ المصدر السابق : ٢٨٦ .

المعصية ، وأنها من الإنسان نفسه ، إذ لا يعقل أن تكون من الله سبحانه ، فإنه خلق العباد ولم يكلفهم ، ويرتب على الإلتزام أو عدم الالتزام بتكليفهم الثواب أو العقاب ، إلا بعد أن تلطف على الإنسان بالحواس والإدراك ، وجعل له الإمكان بتنمية هذه الحواس ، والارتقاء بها لانطلاق الفكر الإنساني ، وتحريره من زبقة الجهل والتقليد إلى عالم السمو وآفاق الإيمان التي يغمر الإنسان بها في حالة الوصول إلى حقيقة الاعتقاد ، وينعم بها من السقوط في متاهات الرذيلة .

وهناك الكثير من القضايا التي يمكن أن تكون مرسماً واضحاً للمنهج التربوي الذي مارسه الإمام مع الأمة في مختلف الجوانب ، ليستفيد منها المسلمون دروساً عملية في مسيرتهم الحياتية ، والتي يجب أن تعتمد السلوك القويم ، ليقتدي به .

الخاتمة

محصلة المنهجية

كل أئمة الهدى من أهل بيت المصطفى حلقة واحدة لا يمكن فصل بعضها عن بعض ، ولا استغناء جزء عن جزء آخر ، إنما أي واحد منهم متمم لمن سبقه ، وحين نريد أن ندرس حقيقة ما عنهم، فلا بد من الأخذ بنظر الاعتبار «وجود دور مشترك مارسه الأئمة جميعاً ليس مجرد افتراض نبحث عن مبرارته التاريخية ، وإنما هو مما تفرضه العقيدة نفسها ، وفكرة الإمامة بالذات . لأن الإمامة واحدة في الجميع بمسؤولياتها وشروطها ، فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً في شروط الأئمة (ع) وأدوارهم مهما اختلفت أدوارها الطارئة بسبب الظروف والملابسات ، ويجب أن يشكل الأئمة بمجموعهم وحدة مترابطة الأجزاء ، ليوصل كل جزء من تلك الوحدة الدور للجزء الآخر

ويكمله»[1] .

ولذا حين نتحدث عن الإمام موسى الكاظم (ع) ونشير إلى منهجه التربوي فإننا في الواقع نشير إلى دوره المناط به ، والذي كانت ظروفه السياسية تقتضيه ، وهي لا تخرج عن الإطار العام لأهل البيت (ع) ، والذي مثل «تنوع أدوار ، ووحدة هدف» . فالظروف السياسية أو الاجتماعية هي التي اختلفت بالنسبة لكل واحد من الأئمة .

وعلينا ونحن نتناول المنهج التربوي عند الإمام موسى الكاظم (ع) ، أن نضع في حسابنا سياسة الحكم العباسي حينذاك مع الإمام نفسه أولاً ، وأتباع مدرسته ثانياً ، حيث أن التحرك نحو تطبيق البناء التربوي ، والممارسة الفاعلة مقيدة بأجواء الحكم شدة وضعفاً . وقد ذكر المؤرخون أن الحكام العباسيين بعد أن توطد الأمر لهم ، كانت البادرة الأولى لهم نحو شركائهم العلويين في الثورة ضد الأمويين هي :

أولاً : الانقضاض على رجال مدرسة أهل البيت

---

(١) الشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ أهل البيت تنوع أدوار ، ووحدة هدف : ١٤٢ طبع بيروت .

(ع) وخاصة العلويين منهم وفي مقدمتهم أئمتهم بالتصفيات الجسدية ، والتشريد ، ولعلنا نتلمس مدى الحذر والرعب الذي حلّ بهم من الرواية التالية التي تقول :

«كانت رقابة خلفاء بني العباس المعاصرين للإمام موسى الكاظم (ع) شديدة على الشيعة عامة ، وإمامهم موسى الكاظم خاصة ، فضلاً عن المدة الطويلة التي قضاها موسى الكاظم في السجن ، قال هشام بن سالم[1] كنا بالمدينة بعد وفاة جعفر الصادق ، فقعدنا في أروقة المدينة . . فنحن كذلك إذا رأيت شيخاً يومىء إليّ بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور ، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع إليه الناس بعد الصادق ، فيؤخذ وتضرب عنقه» .

«وذات مرة جاء أحدهم يسأل الإمام موسى الكاظم كما كان يسأل أباه ، فقال له الإمام : سل

---

(١) هشام بن سالم الجواليقي مولى بشر بن مروان ، أبو الحكم ، كوفي ، روى عن الإمامين الصادق والكاظم (ع) راجع ما كتب عنه ، السيد أبو القاسم الخوئي ـ معجم رجال الحديث : ١٩/٢٩٧ ـ ٣٠٥ الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٣ هـ .

تخبر ولا تذع ، فإن أذعت فهو الذبح» . «وسأل أحدهم الإمام موسى الكاظم عن مسألة ، فقال : إذا هدأت الرِجل وانقطع الطريق فأقبل»[1] .

ثانياً : المنادة بأحقية العباسيين بالميراث النبوي من العلويين على أساس أن العم ـ وهو العباس بن عبد المطلب ـ أحق بإرث النبي (ص) من ابن أخيه علي بن أبي طالب (ع) وذلك لتبرير عملية الانقلاب الذي قادوه نحو أبناء عمهم ، وجندوا لنشر هذه الفكرة بين المسلمين كل إمكاناتهم المالية والإعلامية في بغداد وغيرها ، ومن جملة من سخروا لهذا الأمر الشعراء المرتزقة ، فمثلاً لنستمع إلى الشاعر مروان بن أبي حفصة ، وقد أنشد هارون الرشيد قصيدة عام ١٨١ هـ يشير فيها إلى فكرة الأحقية بالميراث فيقول فيها :

على ثقة ألقت إليك أُمورها ... قريش كما ألقى عصاه المسافر
أُمور بميراث النبي وليتها ... فأنت لها بالحزم طاو وناشر
إليكم تناهت فاستقرت وإنما ... إلى أهله صارت بهن المصائر
وأبناء عباس نجوم مضيئة ... إذا غاب نجم لاح آخر زاهر

إلى أن يقول :

---

(١) د . القزويني ـ المصدر السابق : ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

ليهنكم الملك الـذي أصبحت بكم
أسـرتـه مـختـالـة والـمـنـابـر
أبـوك ولي المصـطفى دون هـاشم
وإن رغمت من حاسديك المناخر[1]

تقول الرواية :

«فأعطاه «الرشيد» خمسـة آلاف دينار فقبضهـا بين يديه ، وكساه خلعته ، وأمر له بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون[2] من خاص مراكبه»[3] .

ولم يتـوان خلفـاء بني العبـاس في بـذل الهـدايـا والعطايا لكل شاعر يذكـر أحقيتهم بميراث النبي (ص) من آل علي (ع) حتى أصبحت وسيـلة للوصـول إلـى البلاط العباسي ، ونيل جوائزهم التي لا تحد كمـا ذكر عن الـرشيد حين سمـع أبياتـاً لأحد الشعـراء في هـذا

(١) مـحمـد بـن جرير الطبـري ـ تاريـخ الأُمم والملوك : ٦/ ٥٣٠ ـ ٥٣١ الطبعة الرابعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٩٨٣ م .

(٢) البرذون ـ الدابـة ، والبراذين من الخيـل : ما كـان من غير نتـاج العـرب . وتصفـه بعض المصـادر اللغـويـة بـأنـه : ضـرب من الدواب دون الخيل ، وأقدر من الحمر ، يقع على الذكر والأُنثى . راجـع : محمد بن مكـرم بن منظور ـ لسـان العرب مـادة (برذن) وسعيد الخوري الشرتوني ـ أقرب الموارد ، مادة (البرذون) .

(٣) ابن جرير الطبري ـ المصدر المتقدم : ٦/ ٥٣١ .

الصدد فقال للفضل بن الربيع[1] : خذ بيد هذا الشاعر فأدخله بيت المال ودعه يأخذ ما يشاء[2] .

---

(١) الفضل بن الربيع بن يونس أبو العباس ، ولد عام ١٣٨ هـ ، ولي الوزارة للرشيد إلى أن مات ، واستخلف الأمين فأقره في وزارته ، توفي بطوس عام ٢٠٨ هـ . راجع الزركلي ـ الأعلام : ١٤٨/٥ .

(٢) هذه القصة مع الشاعر منصور بن سلمة بن الزبرقان : شاعر مشهور ، عرفه الفضل بن يحيى ، فوصله بهارون الرشيد ، فمدحه ، وتقدم عنده وفاز بعطاياه ، لأنه كان يظهر للرشيد أنه عباسي الرأي ، منافر لآل علي ولغيرهم ، والقصيدة التي جنّ بها الرشيد إعجاباً جاء فيها :

يا ابن الأئمة من بعد النبيّ ويا ابن الأوصياء أقر الناس أو دفعوا
إن الخلافة كانت إرث والدكم من دون تيم وعفو اللّه متسع
لولا عدي وتيم لم تكن وصلت إلى أمية تمريها وترتضع
وما لآل علي في إمارتكم وما لهم أبداً في إرثكم طمع
يا أيها الناس لا تعزب حلومكم ولا تضفكم إلى أكتابها البدع
العم أولى من ابن العم فاستمعوا قول النصيحة إن الحق مستمع

وفي هذا الصدد قال أيضاً :

ألا للّه در بني علي ودر من مقالتهم كثير
يسمون النبيّ أباً ويأبى من الأحزاب سطر بل سطور

يريد بالأحزاب الإشارة إلى الآية الكريمة : ﴿**وما كان محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ، وَلَكِن رسولَ اللهِ ، وَخَاتَم النَّبِيِّين**﴾ (سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤٠) والغريب أن المصادر الأدبية وغيرها تذكر أن هذا الشاعر : «كان مع هذا شيعياً ، وله شعر جيد في =

والـظاهـر أن الكيـان العبـاسي الأول صمم على ملاحقة أتباع مدرسـة أهل البيت خشيـة خروجهم على سلطانهم ، لذا دأبت السلطة على توجيه ضغط شديـد على الأئمـة وشيعتهم في أكثر الأدوار ، وذلـك لغرض «الحـد من انتشار حـركـة التشيـع التي رأت فيهـا تلك السلطات خـطراً على كيـانهـا السيـاسي ، وربمـا على عقيـدتها الـدينيـة ، كمـا حـددتهـا ورسمت خـطوطهـا العامة»[1] .

وفي ضوء هذا الجو القاتم ، كانت مسؤولية الإمام مـوسى بن جعفر تنحصـر في إيجـاد القـاعـدة الشعبيـة المـوجهة الـواعية ، وذلـك لا يتم إلاَّ بـامتـلاك حـريـة

= مدح أهل البيت ، ومنه :

آل الـنبـي ومن يـحبـهـم يتـطامنون مخـافـة القتـل
أمنوا النصارى واليهود وهم من أُمـة التوحيـة في أزل

والأزل ـ الضيق .

تقول الروية :

وأنشد الرشيد هذا بعد موتـه ، فقال : لقـد هممت أن أنبشه ثم أحرقه . راجع : عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ الشعر والشعـراء : ٦٣٦ ـ ٧٣٩ طبعـة دار الثقـافـة ـ بيـروت ١٩٦٩ م والـزركلي ـ الأعلام : ٧/ ٢٩٩ والقرشي ـ المصدر السابق : ٢/ ٧٧ ـ ٧٩ .

(١) د . عبد الله فياض ـ تـاريخ التـربية عنـد الإماميـة وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي : ٢٣ مـطبعة أسعـد بغداد ١٩٧٢ م ـ رسالة دكتوراه ـ .

التحرك والممارسة الفاعلة في مضمار التوجيه والتوعية بين مختلف طبقات مدرسة أهل البيت ، وهذا المعنى كان واضحاً لدى السلطات العباسية ومراقباً إلى درجة التضييق ـ كما أشرنا ـ .

ومع هذا كان دور الأئمة (ع) في البناء الفكري للأُمة قد برز بشكل واضح في الأعداد الهائلة من العلماء الأعلام ، الذين عملوا في تأسيس المدرسة الفكرية الإمامية في شتى حقول المعرفة ، وأسهموا في رسم الأسس التربوية للثقافة الإسلامية بشتى حقولها ، وكان للإمام موسى بن جعفر (ع) دور بارز في تنمية الحركة العلمية والتربوية وإن كان «لا يقارن من حيث الأهمية بدور الإمامين الباقر والصادق في تاريخ الفكر عند الشيعة . وذلك لأن دور الباقر والصادق كان دور تأسيس وانتشار للفكر المذكور . كما أنه لا يقارن ـ أيضاً ـ بدون التوسع والانتعاش الذي بدأ بعد نهاية عصر الإئمة قبل نهاية القرن الثالث للهجرة ، والذي قام به شيوخ الشيعة»[٢] .

والمحصلة البارزة في المنهج التربوي في مدرسة أئمة أهل البيت (ع) أنه منهج تربوي متكامل يستند

(١) الأمين دائرة المعارف الشيعية : ٢ / ٨٩ .

إلى خصائص نوعية ، شاد الإسلام صرحه على أساس العقيدة والأخلاق الفاضلة ، «والقوانين العملية التي يستطيع الإنسان الفطري بما يمتلكه من تعقل خال من الشوائب والخرافات أن يتقبلها ويؤمن بصحتها»[1] .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نحدد خصائص المنهج التربوي عند الإمام موسى الكاظم (ع) بالآتي :

أولاً : التوجيه الإيماني ، والإنساني الذي يشكل جزءاً صغيراً جداً من هذا الكون الكبير ليس إلا ظاهرة أسهم في تكوينها عالم الوجود كله . فالإنسان وليد هذا الوجود . وبعبارة أخرى فهو مخلوق من قبل القوة المهيمنة على هذا الوجود .

بناء على هذا ، فإن كل ما ينطوي عليه الإنسان من أجهزة وقوى ، وعواطف وملكة عقلية هي من تصميم تلك القوة المهيمنة وتدبيرها . وهذه القوة المهيمنة هي التي تضمن سعادة هذا الإنسان ورفاهه عن طريق القوى المختلفة المودعة في كيانه[2] ،

---

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي ـ الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي : ٣٦ الطبعة الثانية دار الغدير ـ بيروت ١٩٨٠ م .

(١) السيد الطباطبائي ـ المصدر السابق : ٣٧ .

ولهذا أشار الإمام موسى (ع) في حديثه مع أبي حنيفة حين سأله عن المعصية بأن الله سبحانه حيث هو الأقوى لا يمكن أن يرتب جزاء على عبده ما لم يودعه قوى يستطيع بواسطتها أن يميز بين الخير والشر ، مستعيناً بشعوره وإرادته الحرة ليسلك بعدها الطريق الذي يختاره فهو إذاً «فاعل مختار»[1] .

ثانياً : إنه اعتمد «التعقل» وليست المشاعر والإثارة العاطفية كما مرّ في حادثة بشر الحافي ، لأن العقل الواعي ضمان سليم للحرية الفكرية وعاصم للإنسان من التفريط بها ، بدافع من تقليد أو تعصب أو خرافة[2] .

ثالثاً : التأكيد على السلوكية الأخلاقية ، فالتربية تعتبر ذات طبيعة أخلاقية ، ومن ثم فإن السلوك الأخلاقي يرتبط ارتباطاً قوياً بالتربية الإنسانية ـ كما شاهدنا موقف الإمام مع السائل الذي طلب منه أن ينقذه من فاقة ألمت به ، فحرص كل الحرص على أن يصونه من ذل السؤال ، فطلب من غلامه أن يتركه مع الرجل ، حتى لا يراه وهو يسلمه ما طلب .

---

(١) السيد الطباطبائي ـ المصدر السابق : ٣٧ .

(٢) الشهيد الصدر ـ المدرسة الإسلامية : ١٢٧ .

رابعاً : وكان لرقابة الضمير مركزة المهم في الحالة التربوية عند الإمام الكاظم (ع) فهو يوصي تلميذه هشام قائلاً :

«يا هشام : من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن بره بإخوانه وأهله مد في عمره .

يا هشام : لا دين لمن لا مروّة له ، ولا مروّة لمن لا عقل له ، وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً ، أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلاّ الجنة ، فلا تبيعوها بغيرها»[1] .

إن الأُسس التي رسمها الإسلام للتكامل الاجتماعي والفردي واضحة المعالم في منهج التربية ، ومن تلكم المعالم تحكيم رقابة الضمير الإنساني في المجالات المقتضية لذلك . فالذي لا مروّة له لا عقل له، والضمير الواعي المترع بروح العقيدة والإيمان ، هو القادر على زرع السعادة في النفس ، وتوجيه الممارسات الإنسانية في سائر الأعمال الحياتية .

---

(١) ابن شعبة ـ المصدر السابق : ٢٨٧ .

والإمام موسى (ع) حين ينظر إلى الرجل الدميم الخلقة ، فيجلس ويسامره ويؤنسه ، ويذهب عنه وحشة الوحدة والانفراد يريد أن يعلم الآخرين المحبة والألفة والأخوة وتنمية روح الفرد على الطيبة والمعاشرة الحسنة ، وبذلك يكون قد كسب رضا الله سبحانه بإعزاز خلقه ، ورضا الضمير بمعالجة المشكلة النفسية التي تنشأ في أعماق هذا الإنسان الذي قد يكون في دخائله من أروع القيم ، ولكن مظهر وجهه ينفر الناس ، ولذا يقول (ع) لهشام ، وهو يوجهه لرقابة الضمير :

«يا هشام : أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة به الصلاة ، وبر الوالدين ، وترك الحسد والعجب والفخر»[1] .

خامساً : والمسؤولية الاجتماعية لها أساسها في عالم التربية ويقولون : «إن تماسك المجتمع لا يتم إلا عن طريق عملية تنشئة اجتماعية خاصة ، وهذه التنشئة إنما تتم في عقول الأفراد ونفوسهم ، فهي داخلة في الناحية البشرية ، ولها مكانتها وأهميتها في وحدة الأمة

---

(١) ابن شعبة ـ المصدر السابق : ٢٩٥ .

وتماسك المجتمع»[1] .

وحين نرى الإمام موسى (ع) عالج مشكلة ذلك الشخص الذي أعلن موقفه العدائي بسببه وشتمه للإمام وآبائه بأسلوب مغاير تماماً له ، وكان في إمكانه ـ كما أشرنا ـ إلى معاملته بالمثل أو أكثر ، لكن البناء التربوي الذي يستهدفه الإمام (ع) لا يقبل مقابلة العنف بالعنف ، إنما بحث المشكلة ، والوصول إلى حلها ، فالفهم الاجتماعي للفرد ، والإحساس الخلقي له ، هما الركيزتان اللتان تقوم على أساسهما المعالجة التربوية للانحراف الطارىء .

إن العملية الإنسانية ـ وإن كان مظهرها العنصر المادي ـ لكن في واقعها لا تتجاوز القيم الأخلاقية ، وهي مقابلة الإساءة بالإحسان . وفعلاً أثرت المشاعر النبيلة في الرجل المنحرف ، وأهلته لصلاح نفسه وتقويم كيانه ، وأعادته إلى حضيرة مجتمعه الإنساني ، وبتوالي الأيام نمى فيه عنصر الاعتزاز بانتمائه لمدرسة أهل البيت (ع) ، وتطامنه في وجوده بها ، وضمانه الديني فيها .

---

(١) د . محمد أمين المصري ـ المسؤولية : ١٢٤ ـ ١٢٥ الطبعة الرابعة دار الأرقم الكويت ١٩٨٦ م .

يقول الإمام موسى (ع) لتلميذه هشام :

«يـا هشـام : تعلّم من العلم مـا جهلت ، وعلّم الجاهل ما علمت ، عظّم العالم لعلمه ودع منـازعته ، وصغّـر الجـاهـل لجهله ولا تـطرده ولكـن قـرّبـه وعلّمه»[1] .

هـذه هي أهم خصـائص المنهـج التـربـوي في مدرسة الإمام موسى بن جعفر (ع) وأسلوبه العملي في ممارسته الفاعلة في توجيه الأمة ، وإنقـاذها من شـرور الانـزلاق والانحراف ، وهـذا «غيض من فيض» ـ كمـا يقول المثل ـ ، فأئمة الهـدى من أهل بيت المصـطفى (ص) نبـع متفجـر بـالكمـال ، والأخـلاق ، والعلم ، والفضيلة ، وامتـداد لمعلم الإنسانيـة ورائدهـا العـظيم رسول الله (ص) .

اللّهم اجعلنـا من السـائـرين على خـطى محمـد (ص) وآلـه الطاهـرين ، ومن المبلغين رسالـة الإسلام في مسيـرتنا الحيـاتية ، والحـافظين كلمـة العقيـدة في واقعنـا الرسـالي ، بما يـرضي الله سبحانـه ، ورسولـه الأمين ، وآله الهداة الميامين وهو حده ولي التوفيق .

---

(١) ابن شعبة ـ المصدر السابق : ٢٩٠ .

مصـادر البحـث

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ **الإرشاد** ـ محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد .

٣ ـ **أُصول الكافي** ـ محمد بن يعقوب الكليني .

٤ ـ **أعيان الشيعة** ـ محسن الأمين العاملي .

٥ ـ **أقرب الموارد** ـ سعيد الخوري الشرتوني .

٦ ـ **الإسـلام ومتـطلبـات التغييـر الاجتمـاعي** ـ **محمـد** حسين الطباطبائي .

٧ ـ **الأعلام** ـ خير الدين الزركلي .

٨ ـ **الإمام الصادق** ـ محمد حسين المظفر .

٩ ـ **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة** ـ أسد حيدر .

١٠ ـ **الإنسان والإيمان** ـ الشهيد مرتضى مطهري .

١١ ـ **أمالي المرتضى** ـ علي بن الحسين الشريف المرتضى .

١٢ ـ **أهل البيت تنوع أدوار ، ووحدة هدف** ـ الشهيد محمد باقر الصدر .

١٣ ـ **تاريخ الأمم والملوك** ـ محمد بن جرير الطبري .

١٤ ـ **تاريخ بغداد** ـ الخطيب البغدادي .

١٥ ـ **تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي** ـ د . عبد الله فياض .

١٦ ـ **تحف العقول عن آل الرسول** ـ الحسن بن علي بن شعبة .

١٧ ـ **حياة الإمام موسى بن جعفر** ـ باقر القرشي .

١٨ ـ **دائرة المعارف الشيعية** ـ حسن الأمين .

١٩ ـ **دور الأئمة في المسيرة الإسلامية** ـ محمد بحر العلوم .

٢٠ ـ **الرسائل** ـ عمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق : السندوبي .

٢١ ـ **سيرة الأئمة الأثنا عشر** ـ هاشم معروف .
٢٢ - **الشعر والشعراء** ـ عبد الله بن مسلم بن قتية .
٢٣ ـ **الفصول المهمة** ـ علي بن محمد بن الصباغ المالكي .
٢٤ ـ **الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية** ـ د . علاء الدين السيد أمير محمد القزويني .
٢٥ ـ **الكنى والألقاب** ـ عباس القمي .
٢٦ ـ **لسان العرب** ـ محمد بن مكرم بن منظور .
٢٧ ـ **المدرسة الإسلامية** ـ الشهيد محمد باقر الصدر .
٢٨ ـ **المسؤولية** ـ د . محمد أمين المصري .
٢٩ ـ **معجم رجال الحديث** ـ أبو القاسم الخوئي .
٣٠ . **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ـ محمد فؤاد عبد الباقي .
٣١ ـ **مقاتل الطالبيين** ـ علي بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني .
٣٢ ـ **منهج التربية الإسلامية** ـ محمد قطب .

فهرست المواضيع

ـ المقدمة ٥

المدخـــل

ملامح عن شخصية الإمام الكاظم (ع) ٧

الفصـــل الأول

البناء التربوي الإنساني ١٣

الفصـــل الثاني

التطبيق العملي للبناء التربوي عند الإمام الكاظم (ع) ٢٥

أولاً ـ الأُسلوب الإيماني ٢٧

ثانياً ـ تشخيص المشكلة ومعالجتها بما يقتضيها ٣٠

ثالثاً ـ المودة الاجتماعية ٣٣
رابعاً ـ العزة في المسألة ٣٦
خامساً ـ التربية الإيمانية ٣٩

الخاتمـــة

المحصلة المنهجية ٤٣
ـ مصادر البحث ٥٧
ـ فهرست المواضيع ٦١